مشكلة الوعي الشبابي العربي بين إرادة التغيير، ورهان فهم التحديات، "مقاربة لبناء هوية التغيير".

أ/ريحي مصطفى
جامعة البليدة2 – لونيسي علي

ملخص المداخلة باللغة الإنجليزية:

This study aiming to investigate the issue of Arab Youth Awareness among Change Requisites and the Challenge of understanding Stakes "An Approach to Build Change Identity" is trying to understand the reality of Arab Youth Awareness under the attempt of globalizing political, economical, and social values, and the influence of the western life style on this category. All this have influenced their conceptions and behaviors towards the idea of change, which is becoming a priority for them because of social, economical, and political pressures. Moreover, this led to the distraction of political powers facing on one side the insisting demands for change and on the other side maintaining the principle of continuity, which is overloaded with accumulations and crises for Arab Youth category to live in.

This study diagnosis the issue of Arab Youth Awareness of the idea of change dealing with three main sections:

1- Arab Youth Awareness, Historical Accumulations and the Necessity of Change:

This section deals with the historical reasons, which produced the intellectual reality of Arab Youth. This relies on a list of explicatory entries, which facilitate understanding the need for change among this social category.

2- Arab Youth Awareness, Stakes and Proposed Affaires:

This part of the study is trying to propose an amount of realistic stakes and challenges facing the idea

of change among Arab Youth. These data are outlined objectively on both internal and external sides.

3- Arab Youth Awareness, towards Arranging change Priorities in Arab Societies:

The last section, poses the position of change among realistic priorities, which are imposed, and the right way to probably form a peaceful and pure entry for change. The category of youth contributes with a functional logic too much far from the idea of "Unreasonable Enthusiasm" which drives societies into a state that is the worst ever.

The study concludes the analysis of the issue by listing some practical and useful recommendations to participate in a positive, effective, and sure debate responding to stakes and challenges that the Arabic zone is coexisting.

مقدمة:

إن ما تشهده المنطقة العربية من تحولات على مستوى البنى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، يجعل من محاولة الفهم الملم بكل هذه المضامين واستيعاب أوزانها النسبية، مركز ثقل فكري يلقي بإلحاح طائفة من الأسئلة كمدخل لنقاش موسع حول الرهانات التي يمكن أن تحملها عمليات الحراك التي تشهدها المنطقة، والأدوار المعول عليها والمرتبطة بالفواعل المؤثرة والتي من شأنها أن تحسم في آخر المطاف وترسم مستقبل هذه الدول، وتضعها وجها لوجه مع جملة من التحديات تكون إما مرتبطة بحسابات قبلية تنم عن معرفة مستوفية لمشاريع التغيير وأبعادها، أو تلقي بها في حالة الارتباك والعجز المتعدد المداخل، نظرا لعدم مراعاة الخصوصية الاقتصادية، الاجتماعية، والسياسية لهذه الدول وقد تجد علة فشلها في سوء اختيار لحظة التغيير " **ما هو ممكن ومتاح، وما هو مستعصي وغير متكافئ ومنسجم مع لحظات التغيير والناتج في كثير من المرات من محاولة تمثل ومحاكاة واقع مشابه دون حسابات عقلانية والارتكاز على رمزية التحرك أكثر من التركيز على نتائجه**".

إن كل ما سبق يحيل إلى فكرة "الوعاء الفكري" الحامل لفكرة الوعي الجماعي بالقضايا المشتركة التي يتقاسمها المجتمع من حيث هي مرتكزات وجودية تتعلق باستمرار العيش المشترك الضامن للموارد الفكرية والمادية للمجتمع بغض النظر عن أنماط السلوك السلطوي التي تحكم هذه المجتمعات، والتي قد لا تشكل لفئة من المجتمع فارقا مادامت تضمن تدفق هذه الموارد، خاصة في الوقت الذي كان يشهد العالم فيها انغلاقا على الوحدات المكونة له، قبل أن يشهد هذه الموجة الاتصالية والتكنولوجية التي أعطت الصوت والصورة معاني غير تقليدية استهدفت بالدرجة الأولى فئة الشباب في المنطقة العربية، وخلقت منفذا

متاحا على العالم وعلى ما يحدث فيه من كم تفاعلات يستعصى أحيانا رصد مواقع استهدافها الفكري.

مع كل هذا رسخت هذه " الموجة" فكرة "التغيير" لدى الشباب العربي، وكانت أبرز مظاهر هذه القناعة الانخراط الواسع لهذه الفئة في الحراك الاجتماعي الذي مس الكثير من الدول العربية، ولا يعزى هذا الدور المحوري للشباب في هذه العملية فقط لعامل التطوري في وسائط الاتصال فقط، بل يجد مبرراته في الحالة التي سبقت هذا الحراك من عدم مراعاة للخصوصية الفئوية للشباب، وحالات الإقصاء المنظم من أي مشاركة فعلية في صنع القرار....إلخ، مما دفع في كثير من الأحيان نحو أوجه تغيير "غير عقلانية" عبرت عن مستوى السخط وعدم الرضى الذي يحمله الشباب عن واقعهم، فكانت اللحظة المنتظرة محملة بالانفعال ليغيب في جزء مهم منها التفكير بمنطق استباقي قائم بالأساس على الفهم الناضج لمتطلبات ما بعد " لحظة التغيير" وترتيب الأولويات، ليجد فعل "التغيير" في كثير من التجارب مشبعا بالشكل، وحمالا للأزمات المركبة وعلى رأسها غياب الخبرة مع التعامل مع المعطى الجديد.

تناقش هذه المداخلة العلاقة الارتباطية بين **متغيري** تبلور فكرة التغيير الاجتماعي لدى الشباب العربي في السنوات الأخيرة، وارتباك الرؤية "المعولمة" المحاطة بمداخل نقدية تقوم بالأساس على المراجعة الفكرية لهذه الأفكار والتي تشكل في معظمها مرجعية "عاجزة "عن الاستجابة لتطلعات الشباب نظرا لعدم احترامها في أهم بناءاتها لفكرة الخصوصية المجتمعية لمن يتبنوها كمعطى جاهز.

بناء على ما سبق، يمكن طرح المشكلة التالية كمدخل مفتوح للنقاش:

إلى أي مدى يمكن فهم العلاقة بين فكرة الوعي بالتغيير لدى الشباب العربي، وأزمة إدراك واقعية الرهانات والتحديات؟

تندرج تحت هذه المشكلة الرئيسية، طائفة من الأسئلة الفرعية من شأنها أن تسهل الاقتراب من الموضوع، وهي:

1.إلى ما يرتكز المنطق الإنتاجي للأفكار لدى الشباب العربي؟ (التنشئة الاجتماعية (التاريخية) والسياسية)

2.ما هي الملامح الرئيسية لصورة الوعي الشبابي العربي كجزء من الوعي المجتمعي؟ (السلطة ليست فقط توزيع القوة، وإنما توزيع القيم).

3.ما هي الرهانات المرتبطة بمسألة التغيير على مستوى الوعي الشبابي؟

4.كيف يمكن بناء وتوجيه الوعي الشبابي لمضامين سلمية ومناهج سليمة؟

تنطلق هذه الدراسة من أساس اختبار لجملة من الفرضيات يضعها الباحث كأحكام مؤقتة، ستوضع على محك المداخل التفسيرية، لمعرفة أهم المقاربات التي من شأنها أن تضع فكرة "التغيير" عند الشباب العربي في الأطر السليمة والمنفتحة على النقاش:

1.ترتبط فكرة التغيير عند الشباب العربي بمنطق التأثر بالنمط "العولمي" الذي فرض نفسه كقوة قيمية مؤثرة.

2.ترتبط قلة نجاعة الفعل الشباني فكرا وأداء، بمحددات تاريخية بحتة مردها التراكمات التاريخية التي أوجدت عجزا في فكرة المبادرة لدى الشباب العربي.

3.يشكل عدم فهم واقعية المعطيات والمتطلبات وإدراك الرهانات في الفكر التغييري لدى الشباب العربي محددا مهيمنا على محدودية الطرح والأداء.

وعليه تقدم الدراسة تحليلا للمشكلة المطروحة اعتمادا على ثلاثة محاور رئيسية:

1. المحور الأول: الوعي الشبابي العربي: تراكمات التاريخ وحتمية التغيير.

2.المحـور الثـاني: الـوعي الشـبابي العربـي: الرهانات والقضايا المطروحة.

3.المحور الثالث: الوعي الشبابي العربي: نحو ترتيب لأولويات التغيير في المجتمعات العربية.

المحور الأول: الوعي الشبابي العربي: تراكمات التاريخ وحتمية الواقع:

لا يمكن بأي حال من الأحوال، الاقتراب لمحاولة الواقع بممارسة عزل القيم والأحداث والأفكار عن فلسفة وجودها ومنطق إنتاجها، " **إن التاريخ يسمح إذن بالعودة إلى ملاحظة أكثر تيقنا للخصوصيات** "[1]خاصة إذا تعلق الأمر ببنى اجتماعية تشكل العصب الأساسي لحياه المجتمعات وتطورها، والذي تشكل فيه فئة الشباب نسبة لا يستهان بها بما تمثله من رهان تطوري وتنموي يساير الركب الحضاري، ويضع أسباب التقدم الأساس لفكره وسلوكه.

إن الحديث عن الشباب ومكانته، يحيل إلى المرور الحتمي إلى التنشئة الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تكفل الاستجابة التكيفية والمساهمة الفعلية في بناء الوعي المشترك، والانخراط في كل التفاعلات التي من شانها ضمان الأمن المجتمعي، وهو ما لم يتأتى كمعطى تواتري في المجتمعات العربية التي لم تجهز هذه الفئة لفهم واقعها فهما سليما، فكانت الفجوة التي تعيشها هذه الفئة جزء من حالة الانفصال بين السلطة والمجتمع، وخلقت ما يسمى "الضغط الاجتماعي (Pression sociale)* والتي يراه الأستاذ نور الدين ثنيو في معرض حديثه عن **علاقة الشباب الجزائري بالسياسة** بأنه "**يعكس حالة غير سوية يصيب نفسية وجسد الفرد ليحيله على كائن غير قادر على الأداء العادي لما يفرضه عليه المجتمع، الغالب أنه يخالف الضوابط، والإكراهات والقوانين التي تفرضها الدولة مصدر الضغط السياسي، فالشباب لا يبادل السلطة السياسية أي احترام ويشعر بأنها جاثمة على صدره وأنها تغتصب يوميا حقوقه ونصيبه من المال العام ومن واردات الريع، فضلا عن انسداد الأفق وضياع المصير**"[2].

لا يمكن بأي شكل من الأشكال عزل فكرة التنشئة الاجتماعية، عن سياق مفهوم الوعي الجماعي والذي " **يحمل هذه النزعة الداعية لإذابة الاستقلال الفردي في لعبة العوامل الثقافية إلى أوجها**"، **فكلما كانت المجتمعات بدائية أكثر، كلما كان هناك تشابهات بين الأفراد الذين تتكون منهم، تشابهات بدنية وكذلك نفسية**"[3]، هذا الوعي الذي أسست له المنظومة الكلية التي تحكم المجتمع في الدول العربية بحكم العوامل التاريخية التي جعلت فكرة التعددية غير مطروحة في أجندة السلطة السياسية، والتي كرست لمفهوم " الشرعية التاريخية" التي حكمت هذه الدول.

إن المنطق الإنتاجي للأفكار في الدول العربية لم يخضع للسيرورة التاريخية والتطورية الاعتيادية، مما أثر على هوية الوعي المجتمعي خاصة، والوعي الشبابي خاصة مما خلق " حالة مرضية على تصورات الشباب" خاصة في ظل هيمنة المنظومة القيمية التي فرضها التطور الهائل في وسائل الإعلام والاتصال المعولمة.

كل هذه التحولات التي شكلت النواة لطرح فكرة التغيير لدى الشباب العربي بقوة، فمقارنة المواقف والصور، واطلاع هذه الفئة على صيغ العقد الاجتماعي السائدة في الدول الديمقراطية، ومعرفة الوزن الحقيقي للشباب داخل هذه المنظومات المنفتحة على تطلعات وفرص المشاركة الشبابية في كل مناحي الحياة، شكل دافعا قويا للرغبة في تغيير الأوضاع، بين ما كائن وما يجب أن تكون عليه الأوضاع، ومنه فـ" **إن تمثلات ما يتخيل الشخص بأنه مفيد له، على سبيل المثال تفرض نفسها تدريجيا في قلب سيرورة تكيفية المستمرة مع أسرته ومحيطه الأصلي، وكذلك المدرسة أو أيضا بفعل التأثير الثابت للنماذج المقترحة من قبل عالم وسائل الإعلام.**" [4]

إن مسألة التحكم في البنى الاجتماعية من طرف السلطة السياسية، هي التي تحدد معالم المخيال الاجتماعي لدى الأفراد، ولكن الموجة التكنولوجية التي غزت العلم جعلت من هذه المسألة غاية في الصعوبة، إن لم تكن مستحيلة أحيانا، فطرح مشكل المسايرة الاجتماعية والمرافقة لفئة الشباب، يضاف لها مسائل العجز التنموي، وأزمة المشاركة السياسية، وعدم القدرة علة مواجهة التحديات الجديدة التي لا تفتأ تطرح نفسها كرهان لاستقرار هذه المجتمعات، ليس هذا فحسب، بل كان لتغير مضامين الحاجة دورا قويا في حسم مسألة حتمية التغيير داخل هذه المجتمعات، فالبحث عن الكرامة الإنسانية، ومساحات الحرية هي الأخرى دخلت معادلة السلم الاجتماعي، أي الانتقال من مفهوم المطالب المادية، إلى مفهوم المطالب المعنوية التي لها وثيق الصلة بوجود الإنسان وكرامته.

المحور الثاني: الوعي الشبابي العربي: الرهانات والقضايا المطروحة.

لا يختلف اثنان أن التغيير هو السمة المحركة لمفهوم الاستمرار، فالتكيف يدفع بطبيعته نحو عدم الاستقرار على حالة واحدة وثابتة داخل أي بنية اجتماعية، اقتصادية، أو سياسية "**هكذا تبدو آليات التفاعل بين الظاهرات ذات الطابع السياسي، والثقافي، والاقتصادي، معقدة للغاية، والمنظومة السياسية لا يمكن أن تفهم إلا إذا فصلناها عن منظومات المعتقدات التي تتجابه في المجتمع، فهي تستمد منه شرعية مؤسساتها أو، بالعكس، تصطدم بقيم متناقضة أو معادية**"[5].

إذن فإن مسألة الشرعية داخل أي مجتمع تستمد كينونتها من حالة الرضى التي تبدو جلية داخل المجتمع، وعلى خلاف ما هو متعارف عليه داخل ا أنظمة الديمقراطية، فإن استمرار نظام سياسي مرتبط بالأساس بفكرة "الانجاز"، بالمقابل فإن وضوح الرؤية السياسية والاقتصادية التي تبدو جلية من خلال التفاعل الدائم بين السلطة السياسية والمجتمع في إطار مشروع وطني، هو المحدد الرئيسي لاستمرار هذه الأنظمة.

على خلاف هذا فإن التراكمات التاريخية، وظاهرة الاستعمار التي خلقت الوضعية الخاصة للدول العربية عامة، ونظام القيم داخل المجتمعات العربية بصفة خاصة، عوامل مجتمعة ألقت بظلالها على مفهوم الحكم وخلقت حالة مزمنة من الإيمان بفكرة الخطر الداهم والذي تستمد الكثير من الأنظمة العربية أساسا لاستمرارها، فصرفها ذلك عن الوظائف التقليدية الموكلة لها في تطوير هذه المجتمعات والإصغاء لصوتها*.

لقد شكلت قضية التبعية والاستقطاب محورا آخرا لتعقد أزمة غياب المشروع الوطني القادر على احتواء كم الموارد المتاحة، والطاقات الشبابية المتجددة داخل المجتمعات العربية وتأهيلها لمواكبة التطورات وتحقيق ما يسمى بالتجدبد الذاتي للأفكار، والموارد وغرقت بالموازاة في هوامش الرهانات التي يعول عليها للرقي بهذه المجتمعات، ويرد ذلك إما لعوامل موضوعية أو متعلقة بالنخب السياسية ذاتها.

شكل كل ما سبق حالة من القطيعة الوظيفية بين السلطة السياسية الحاكمة بمنطق الاستمرار الشكلي والمضموني، وبين المجتمع الذي يراهن على فئة الشباب كوقود لقضايا التنمية التي تطرح نفسها باستمرار، والذي أورث في آخر المطاف تركة ثقيلة ومركبة يوازيها حالة من الحتمية التغييرية لمنطق التفكير السلطوي السائد، والذي أنهكه " الرهان السلطوي"، فكان النتيجة أن الحلول السياسية لم تعد مفيدة للازمات الاقتصادية والاجتماعية.

المحور الثالث: الوعي الشبابي العربي: نحو ترتيب لأولويات التغيير في المجتمعات العربية.

في إطار هذا النقاش المتجدد والذي يفرض نفسه بإلحاح للوقوف على مكامن القوة والضعف في أشكال التفكير المتعلقة بالتغيير لدى فئة الشباب، وحتى تؤدي

الدراسة وظيفتها بطريقة عملية وتطرح وصفة انتقالية بناءة، سليمة، وسلمية، فإن ما يمكن الخلوص إليه في هذا المحور الأخير، هو المسألة تستدعي نقاشا موسعا حول السبل والآليات التي أن تستجيب لتطلعات فئة الشباب كعصب حي للمجتمع، وفي نفس الوقت تراعي وبعقلانية ترتيب الأولويات الذي يجد مصدره في فهم القضايا بأكثر واقعية.

وعليه يمكن ترتيب هذه التحديات على النحو التالي:

1.تحدي فهم الذات الاجتماعية:

أي فهم الواقع فهما **صحيحا، لأنه سيكون نقطة الانطلاق بالنسبة لفكرة التغيير، دون تحيز فئوي مهما كان نوعه، في إطار منطق تطوري سليم معتمد على التفكير المشترك.**

2.تحدي بناء المشروع الوطني المستجيب للحاجات بمنطق فهم الأولويات:

هذا المشروع الذي يفتح حوله نقاش موسع بين كل فئات المجتمع، ويراعى فيه التمثيل الموسع لتقييم الواقع، والانطلاق نحو محاولة تدارك الأخطاء، وممارسة ما يسمى بمفهوم "المثقف العضوي" – كما يسميه " أنطونيو غرامشي"، القادر على التقدم بالمجتمع.

3.تحدي مأزق "الاغتراب":

الإحساس بالانتماء، لا يعني فقط الاستفادة من المنفعة الجماعية، وإنما أيضا محاولة الانخراط في كل ما له صلة بالعمل الجماعي المفيد للمجتمع، وذلك بفتح قنوات الاتصال مع فئات المجتمع، ومحاولة فهم تطلعاتها ومشاريعها، أو ما يسمى **تحدي الانخراط في الوظائف الاجتماعية.**

4.**تحدي " الانتقال الجيلي":**

لكل مرحلة تاريخية مفرداتها ونمط التعامل معها، والعمل ضمن إطار مؤسساتي يقتضي أن يبني فعل الانتقال بين الأجيال الحتمي على المستوى المادي والفكري أيضا، وذلك بإعطاء فرصة التكوين والتأهيل ونقل الخبرات بما يستجيب لمتطلبات المجتمع.

5.**تحدي التسامح كما يسميه "ميخائيل والزر" "Michael Walzer":**

هذه القيمة التي تتأسس عندما ينتقل عندما يحس الأفراد أن المصالح العامة تطغى على المصالح الفئوية بما يخدم المشروع المجتمعي، وأن الإقدام على أي خطوة بمساهمة الجميع، يتحمل مسؤوليتها تبعاتها الجميع.

6.تحدي تكوين النخب:

تراهن أي مرحلة انتقال على إعداد الطاقات وتكوينها تكوينا نوعيا، يساير حالة التقدم التي لا تنتظر أحدا، في عالم يشهد ثورة في جميع القطاعات وعلى كل المستويات، ويشار هنا إلى أن المسألة ليست مسألة مشاركة الشباب، فإعطاء الفرص المتساوية لجميع الفئات، ثم انتقاء التمكين لفكرة النوعية.

7.تحدي التنمية، قبل الديمقراطية:

السياسة في مواجهة الندرة والحاجة الاقتصادية: لقد طرح المفهوم الكوسموبوليتاني للمواطنة مسألة أن الإنسان هو مواطن العالم، ويستند المتحمسون لهذا الطرح بأن العالم كان يعيش في وحدة واحدة، ويعتبر هؤلاء بأن البشر هم وحدات متساوية* من حيث قيمتها المعنوية، بصرف النظر عن تصنيفاتها العضوية (الثقافية، العائلية، العرقية، والوطنية)[6]، هذا السياق المعولم الذي اعتنقه الكثير من الشباب المثقف في الدول العربية، دون مراعاة الخصوصية المحلية بكل أبعادها.

8.تحدي إشكالية الرهانات السلطوية المنعزلة عن خدمة المجتمع: الشباب والسياسة:

ليست كل منفعة مجتمعية تجد علتها في المشاركة السياسية، فالتنافس على مراكز السلطة وأزمات

التموقع التي يقع فيها الكثيرون بعد اي مرحلة يشهد فيها المجتمع تغييرا، تقلل من فاعلية الأداء، فالتصورات الخاطئة تؤدي بالضرورة إلى السلوكات الخاطئة.

استنتاجات:

من خلال سبق، يمكن الوصول إلى **النتائج التالية** التي تمثل إجابات على المشكلة المطروحة، وتقييما للفرضيات التي عرضها:

1.يرتكز المنطق الإنتاجي للأفكار بالنسبة للشباب العربي فيما يتعلق بقضية التغيير بمحددات تاريخية، اجتماعية، اقتصادية، سياسية، اجتمعت فيما بينها لتخلق "حالة مرضية" وغير قادرة على مقاومة ظروف موضوعية تتعلق بعملية التغيير التي ينشدها الشباب العربي، مما يجعل فكرة إعادة فتح النقاش حتميا، لفهم الواقع وتصنيف المعوقات، لتخطيها والمرور بطريقة سلمية وسليمة نحو التغيير المنشود.

2.اصطدم الوعي الشبابي العربي بكثير من الصور المعولمة، كما لعبت ثورة المعلوماتية وشكلت شبكة جذابة نحو الإرادة في التغير ومحاكاة النماذج الغربية، ولكم ما لم يتم التفطن له بجدية أن الخصوصية المحلية، والأولويات المطروحة على مستوى الرهانات التنموية، تشكل عاملا حاسما في الوصول إلى الغاية المنشودة، فالحديث عن عولمة حقوق الإنسان، يصدر في صوره المعنوية لكنه لا يراعي الأزمات الاقتصادية التي تتخبط فيها الكثير من المجتمعات العربية.

3.إن مسالة التغيير التي ينشدها الشباب العربي لا يمكن أن تتحق إلى في ظل تهيئة جملة من الظروف، وفهم الواقع فهما صحيحا وعقلانية الذي يقلل من هامش المغامرة الذي يرد في جانب هام منه إلى حالة الاندفاع والتحمس نحو خطوات التغيير، وعليه فإن موقع التغيير يحتل مراتب متأخرة ضمن حلقة الأولويات التي تسبق وتواكب حركة التغيير السلمي والسليم، هذا الأخير الذي يؤسس لصيغة جديدة للعقد الاجتماعي يستمد روحه من السلمية والتوافق.

قائمة المصادر:

1.فيليب برو، ***علم الاجتماع السياسي***، ط.3، تر: محمد عرب صاصيلا، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2014.

2.نور الدين ثنيو، ***الشباب الجزائري والسياسة***، مجلة إضافات، ع. 24،23، خريف 2013.

3.عبد القادر سوفي، **جدلية الأمن والديمقراطية – قراءة في التجربة الجزائرية –**، مذكرة لاستكمال إجراءات نيل شهادة الماستر في العلوم السياسية، تخصص: العلاقات الدولية، فرع: الدراسات الأمنية، إشراف: أ/ مصطفى ربحي، جامعة الجزائر 2، س.ج: 214/2013.

4.Torbjorn Tannsjo, Cosmopolitan Democracy Revisited, (Stockholm University),pp.10,11, www.people.su.se/folke/cosmo.pdf

الهوامش:

(1) فيليب برو، *علم الاجتماع السياسي*، ط.3، تر: محمد عرب صاصيلا، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2014، ص.220.

* يؤكد الأستاذ نور الدين ثنيو بأن المقصود باستعماله لمفهوم "الضغط الاجتماعي" ليس "الإكراه الاجتماعي" (Contrainte sociale) بالمعنى الذي شرحه العالم الإجتماعي "ايميل دوركهايم" (Emil Durkheim) في القرن التاسع عشر، أي جملة الإكرامات والضوابط التي تحافظ على بنية المجتمع وتطوره، أي السير العادي لسلوكات أفراد المجتمع.

(2) نور الدين ثنيو، *الشباب الجزائري والسياسة*، مجلة إضافات، ع. 24،23، خريف 2013، ص ص. 45 – 60.

(3) برو، علم الاجتماع السياسي، مرجع سابق، ص. 220.

(4) المرجع نفسه، ص.222.

[5] يرى **ميخائيل والزر (Michael Walzer)** إن الديمقراطية التعددية تفترض، على سبيل المثال وجود حد أدنى من التسامح اتجاه الأفكار المناؤئة، لكن لبعض الثقافات الفرعية في داخلها رؤية مقيدة جدا حول ما يمكن التسامح به. ومذه المعتقدات تكمن، بالخصوص في أصل شكال السلوك، يتفق بعضها، ويتناقض بعضها الآخر،مع متطلبات عملها. ومنها وضع الموظف المتوسط الذي لا ننتظر منه حماسا مفرطا (يمكن أن يحث عليه ايمان مدني متحمس) ولا عدم اكتراث من حسن سير عمل المصلحة (الذي قد توحي به نزعة فردية ضارية). وبخط مواز، تدخل تجليات المنظومة السياسية في علاقة تفاعل مستمر مع تجليات المنظومة الاقتصادية: انحصار يصيب مستوى موارد ميزانية الدولة، وبالتالي قدرتها على تمويل التدخلات التي يمكنها أن تهدئ الاستياء أو الكبت لدى الفئات الأكثر تمردا بين السكان، وبالعكس، فإن سلطة الحكام الشرعية الضعيفة أو الصعوبة التي يعانون منها في الحفاظ على النظام الاجتماعي. تؤثران سلبا على قرارات الاستثمار، وبصفة اعم، على السيرورات الاقتصادية ذات الأمد الطويل، ويواصل طارحا للفكرة قائلا: إن **التمييز بين السلطات**: السياسية والاقتصادية والثقافية، هو بدون أدنى شك ضروري للسماح بالتعرف، بشكل أفضل، على الرهانات والمشاكل. لكنه لا يجب أن يقود إلى اخفاء التعقيدات العميقة التي توجد في كل المستويات الاجتماعية الجزئية والوسطى والكلية، وتعطي لكل نمط من أنماط السلوك بعدا متكاملا بعمق. إن الذهاب للتصويت، على سبيل المثال هو عمل من أعمال "المواطن الصالح" (الذي يمارس حقه)، لكنه أيضا مسعى يقوم به أجير ربما يكون مستاء أو والد تلميذ قد يكون راضيا. إن الطموحات الاقتصادية والتكييفات الثقافية، والولاءات السياسية تتداخل في هذا العمل بشكل وثيق."للتفصيل أكثر، أنظر: فيليب برو، مرجع سبق ذكره، ص ص. 159، 160.

[*] وهو ما يشير إليه "الباحث عبد القادر سوفي" في معرض حديثة عن امتحان مفهوم الأمن القيمي للدولة كضرورة منطقية لقوتها من حيث احتكار الاستخدام المشروع للقوة الفعلية ضمن منطقة معينة براي عالم الاجتماع الألماني "ماكس فيبر" (Max Weber) كتأييد لعقلانية توماس هوبز وفلاسفة العقد الاجتماعي التي تفيد صفة وخاصية المقايضة بين الدولة ومواطنيها والتزام الدولة بتوفير الحماية والأمن لهم مقابل أن يقوم هؤلاء بالإذعان لسلطتها، للتفصيل أكثر، انظر:

عبد القادر سوفي، **جدلية الأمن والديمقراطية – قراءة في التجربة الجزائرية** -مذكرة لاستكمال إجراءات نيل شهادة الماستر في العلوم السياسية، تخصص: العلاقات الدولية، فرع: الدراسات الأمنية، إشراف: أ/ مصطفى ربحي، جامعة الجزائر 2، س.ج: 214/2013.

[*] من بين الانتقادات التي توجه لهذه النظرية هو تركيزها على جانبها المساواتي المعنوي دون استيعاب متغير الموارد، حيث يرى "سيسيل فابر"(Secile Fabre)، بأن نفس الأشخاص الذين يتساوون في الحقوق والحريات، عليهم أن يتساوو في الموارد التي يحتاجونها من أجل الحد الأدنى من الحياة المزدمرة، هذه هي حسب رأيه حقوق الإنسان على نحو متساوي.

[6]Torbjorn Tannsjo, **Cosmopolitan Democracy Revisited**, (Stockholm University),pp.10,11,

www.people.su.se/folke/cosmo.pdf

من ثقافة العولمة
إلى عولمة الثقافة

أ/ سيفون باية

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة:

لقد أدت التطورات الحاصلة في الخارطة السياسية والاقتصادية العالمية إلى بروز ظاهرة العولمة التي بدأت تشكل ملامح جديدة لعلاقات دولية تقوم على الأحادية القطبية والسيادة المطلقة للغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية في شتى المجالات الاقتصادية منها والسياسية وكذا الثقافية وحتى الإعلامية، ومما لاشك فيه أن الآراء والأحكام قد تضاربت وتباينت حول هذه الظاهرة بين مؤيد يراها ضرورة للتحضر والتطور ومعارض يشدد خطورتها على اقتصاديات وثقافات شعوب العالم تبعا لمقولة لا شيء يهدى بالمجان.

إذ تعتبر العولمة الثقافية من أخطر أنواع العولمة ليس فقط لأنها تتصل مباشرة بالوجود أو العدم. الحياة أو الفناء، نكون أو لا نكون، ولكن لأنها من أكثر أنواع العولمة تخطيطا وتدبيرا.

الإرهاصات النظرية لمفهوم العولمة:

يشير تأمل تاريخ العولمة إلى أنها ليست عملية آنية برزت على السطح فجأة، أو تكشفت جملة واحدة ولكنها ظهرت عبر تطور تاريخي طويل ومتتابع . في حين تجلت ملامحها من خلال ثلاث عوامل

الأول: بروز النظام الرأسمالي كقوة جبارة وانفراده بقيادة العالم، لاسيما مع تفكيك المنظومة الاشتراكية.

الثانية: قيام ثورة علمية تكنولوجية تكاد تتحقق بنقلة معرفية وإنتاجية جديدة.

الثالثة: هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على وسائط نقل المعرفة وسعيها لتنميط العالم سياسيا واقتصاديا وثقافيا من خلال إحكام الهيمنة.

إذا لقد أدى تضافر العوامل السالفة الذكر إلى انطلاق مسلسل العولمة باعتبارها ظاهرة لمرحلة متقدمة من تدويل الإنتاج والمشروعات والمعلوماتية

والتكنولوجيا المتطورة، وفتحت الأسواق مشرعة أمام حركة التبادل التجاري [1]

لقد كثرت الخطابات العربية المعاصرة حول العولمة شرحا وفهما وتأويلا، وغزلا بفتوحاتها ورجما لنتائجها وتحذيرا منها حتى شكلت العولمة مادة دسمة للكتب والمجلات والصحف والندوات تناولتها بالتحليل والنقد، وفي ظل هذا الخضم الذي تاه فيه الخطاب العربي والإسلامي انقسم أهله بين من هو مع العولمة وبين من هو ضدها. أي بين من يراها فتحا كونيا وإمكانا حضريا وبين من يراها غزوا ثقافيا ونمطا استهلاكيا يهدد الخصوصيات الثقافية.

مفهوم العولمة:

إذا تتتبعنا المصطلح في اللغة الإنجليزية وهو Globalisation نجده مشتق من Glob معنى الكرة الأرضية [2]

إلا أنه يتداخل ويختلط في المفهوم الاصطلاحي مع مصطلح العالمية وجاء في معجم و يبسترز أن العولمة Globalisation هي اكتساب الشيء طابع العالمية، وبخاصة جعل نطاق الشيء أو تطبيقه عالميا [3] وفي موسوعة أنكرتا العالمية Encarta الإلكترونية أن العولمة هي دمج و دمقرطة ثقافات العالم و اقتصادياته وبنياته التحتية من خلال الاستثمارات الدولية وتنمية تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وتأثيرات السوق الحرة على الاقتصاديات المحلية و الإقليمية والعالمية.

أما مصطلح العولمة Globalisation فترجم إلى العربية بالكونية [4] وقد ترجمها إسماعيل صبري عبد الله بالكونية [5]وقد أيده في هذا الاتجاه الدكتور محمد محمود الإمام بينما عارض أحمد صدقي الدجاني استعمال لفظة الكونية مشيرا إلى أنه محاولة لتوحيد المصطلح بين كلمتي العولمة والكوكبة.

في حين يخلط محمد عبد الشفيع عيسى بين العالمية والعولمة ويعدهما مرادفتان لمفهوم التدويل وهو ما ينطبق من رؤية أن العالمية ليست إلا العنصر الإيديولوجي للانخراط في سلك الغرب عندما تتحول الدعوة إلى الاندماج في العالم على صعيد الفكر عمليا إلى الاندماج في الغرب ليس على الصعيد الاقتصادي فحسب، بل الاجتماعي والسياسي والثقافي [6]

ويرجع البعض سبب اختلاف الباحثين العرب في تحديد مصطلح واضح لترجمة كلمة Globalisation لمتغيرات عديدة أهمها: أن ظاهرة العولمة معقدة ومركبة وليست شيئا بسيطا يمكن تعينه ووصفه بدقة بقدر ما هي مجموع عمليات تاريخية متداخلة تتجسد في تحريك المعلومات والأفكار والأموال والأشياء وحتى الأشخاص بصورة لا سابق لها من السهولة والآنية والشمولية والديمومة.

وفي هذا الشأن يقول الدكتور احمد فؤاد باشا عبر مقال له على الانترنت (لا شك ان صياغة تعريف جامع مانع–لمصطلح العولمة ليس بالأمر اليسير نظرا لتعدد مفاهيمه التي تتأثر كثيرا بتعدد الاتجاهات إزاءه رفضا أو قبولا بدرجات متفاوتة، والأفضل فيما نرى ان يتم تعريف العولمة بتحديد أهم خصائصها وصفاتها ومظاهرها التي تدل عليها، ويمكن من جانبنا ان نجسد هذه الخصائص والصفات بصورة إجمالية في امرين مهمين جدا:

الأمر الأول:

نستشف من تحاشي أنصار العولمة وبعض فلاسفتها إدخال الدين ضمن مجالات نشاطهم، فهم يحصرونها بصورة رئيسية في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة، وفي بعض الأحيان يدرجون مجال العلم والتقنية، وهم بهذا الاختزال يجعلون منها – علمانية–جديدة، تستبعد الأديان من دائرة التأثير

الأمر الثاني:

هو ذلك التحيز الذي يصل إلى درجة التعصب للنموذج الغربي وتعميمه وفرض سيطرته وهيمنته مع السعي إلى اختراق خصوصيات الغير وطمس

القسمات التي تتشكل منها شخصيات الأمم والشعوب الأخرى، وخاصة المستضعفة منها وهو –أي النموذج الغربي المدعم بالتفوق المادي والثقافي –يسخر من اجل هذا كل انجازاته العلمية والتقنية وقدراته الاقتصادية وإمكاناته الإعلامية بل وقوته العسكرية إذا اقتضى الأمر ليفرض تصوراته الخاصة عن السلام والأمن والحرية وحقوق الإنسان وغير ذلك من المفاهيم التي لها عند كل امة بل عند كل توجه فكري وسياسي تصور خاص.

وهذان الأمران اللذان يجسدان أهم خصائص العولمة الغربية ومظاهرها التي تدل عليها قد صاحبها خلال السنوات الأخيرة ظهور اتجاهات نقدية جعلت كثيرا من الشعوب بل الحكومات في الغرب نفسه تخشى هذا الخطر القادم وترفض الاستجابة لدعواته والانخراط تحت لوائه.

أما الدكتور البياتي فيرى أن هناك غموضا لمفهوم العولمة يعود وباختصار لأنها عملية متعددة الأبعاد، وهذه الأبعاد –السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي... الخ متداخلة وليست منفصلة بعضها عن البعض، وتعتبر وسائل الإعلام أحد المرتكزات الأساسية للعولمة باعتبارها تشمل مختلف الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، للإشارة فقد اختلف مفهوم العولمة باختلاف الموافق من مؤيد ومعارض

المفاهيم المؤيدة للعولمة:

–يعرفها محسن الخضيري: في كتابه العولمة بأنها " هي حالة من تجاوز الحدود الراهنة للدول إلى أفاق أوسع وأرحب، تشمل العالم بأسره [7]

–العملية التي يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب، والتي تنتقل فيه المجتمعات من حالة الفرقة والتجزئة إلى حالة الاقتراب والتوحد، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق، ومن حالة التباين والتمايز إلى حالى التجانس والتماثل، وهنا يتشكل وعي عالمي وقيم موحدة تقوم على مواثيق إنسانية عامة [8]

–عملية تقارب بين المجتمعات والثقافات والمؤسسات والأفراد على مستوى العالم بشكل سريع ومعقد وغير ثابت على نمط واحد، وعملية تطوير لعلاقاتنا الاجتماعية اليومية من المستويات المحلية إلى المستويات العالمية ولذلك فهي تتضمن ضغطا للوقت والمسافة لجعل العالم صغيرا والبشرية أقرب لبعضها البعض[9]

المفاهيم المعارضة للعولمة:

"تعميم نموذج الحضارة الغربية، وخاصة الأمريكية وأنماطها الفكرية والسياسية الاقتصادية والثقافية على العالم كله. "[10]

في حين يعرف الدكتور محمد عابد الجابري العولمة بقوله: هي "العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع" وهي أيضاً أيديولوجياً تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته". أي محاولة الولايات المتحدة إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها الاقتصادية والسياسية، ويتركز أساسا على عمليتي تحليل وتركيب للكيانات السياسية العالمية، وإعادة صياغتها سياسيا واقتصاديا وثقافيا وبشريا، وبالطريقة التي تستجيب للمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية. [11]

سمير أمين: فكر ليبرالي جديد غير اجتماعي يعمل في إطار عولمة غير مضبطة يغلب عليها طابع الفوضى وتتسم بالخصخصة والانفتاح والصرف العائم وتخفيض مصروفات الدولة وإلغاء التقنين من أجل إطلاق مطلق الحرية لفعل السوق[12]

جلال أمين: تعاظم شيوع نمط الاستهلاك الغريزي وتعاظم آليات فرضه سياسيا واقتصاديا وإعلاميا وعسكريا بعد التداعيات التي نجمت عن انهيار الاتحاد السوفياتي وسقوط المعسكر الشرقي، وهي عولمة نمط معين من الحياة شاع الاعتقاد بضرورة تبنيه وإتباعه[13]

بين مفهوم العولمة والعالمية:

يذهب محمد عابد الجابري إلى أن العالمية تشير إلى الطموح وإلى الارتقاء بالخصوصية إلى المستوى العالمي أو بعبارة أخرى هي الانفتاح على ما هو عالمي أو كوني وبالتالي فالعالمية طموح مشروع يعكس الرغبة في الانفتاح على الأخر بهدف تبادل الأخذ والعطاء وبهدف الحوار والتعارف والتلاقح بين الحضارات والثقافات وهكذا يمكن النظر إلى العالمية باعتبارها إثراء للهوية الذاتية، أما العولمة فهي إرادة للهيمنة وبالتالي محاولة لقمع الخصوصيات القومية، إنها محاولة لاختراق الأخر وسلبه خصوصية [14]

أما جيمس روزناو فيرى كذلك أن العالمية تشير إلى الطموحات أو التطلعات التي تستهدف الوصول إلى حالة تصبح فيها القيم مشتركة أو تكون متاحة لكافة أبناء الجنس البشري على اختلاف وأدوارهم كمواطنين مستهلكين أو منتجين وهم يسعون إلى العمل الجماعي مستهدفين حل المشاكل التي تواجههم

كما يستخدم مفهوم العولمة لوصف كل العمليات التي بها تكتسب العلاقات الاجتماعية نوعا من عدم الفصل (سقوط الحدود) وتلاشي المسافة، حيث تجري الحياة في العالم في كقرية واحدة صغيرة، ومن ثم فالعلاقات الاجتماعية التي لا تحصى عددا أصبحت أكثر اتصالا وأكثر تنظيما على أساس تزايد سرعة ومعدل تفاعل البشر وتأثرهم ببعضهم البعض [15]

مفهوم الثقافة:

قبل الخوض في مفهوم العولمة الثقافية لابد من تحديد مفهوم الثقافة وللإشارة لقد حظي مصطلح الثقافة بالعديد من التعاريف ويعود السبب في ذلك إلى غموض المصطلح وتعدد مكوناته وكذا اختلاف زوايا النظر إليه. فبصرف النظر عن عشرات التعاريف التي وضعت لها والتي تنطلق من مرجعيات فكرية وإيديولوجية تحاول تغليب مفهومها للثقافة، فيمكن تعريفها بإيجاز بأنهاجميع السمات الروحية والمادية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات وهي التي تجعل منه كائنا يتميز بالإنسانية المتمثلة في العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي، وعن طريقها نهتدي إلى القيم ونمارس الاختيار، وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه، والتعرف على ذاته كمشروع غير مكتمل وإعادة النظر في إنجازاته والبحث دون توان عن مدلولات جيدة وإبداع أعمال يتفوق على نفسه [16]

ويقدم المرحوم مالك بن نبي تعريفا أكثر دقة للثقافة، إذ يقول: "إن الثقافة هي الجو المشتمل على أشياء ظاهرة، مثل الأوزان والألحان والحركات، وعلى أشياء باطنة كالأذواق والعادات والتقاليد، بمعنى أنها الجو العام الذي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع معين وسلوك الفرد فيه بطابع خاص يختلف عن الطابع الذي نجده في حياة مجتمع آخر". ويرى ابن نبي: "أن الثقافة لا يمكن أن تقوم من دون المبدأ الأخلاقي الذي يحدد العلاقة بين الأشخاص مع بعضهم، وبينهم وبين عالم الأشياء والمفاهيم"[17]. فالثقافة إذن ليست مجرد الأفكار والسلوكيات والعقائد والعادات، بل هي إشعاع أخلاقي ونفسي يلقي بظلاله على الكون والحياة والمجتمع.

العولمة الثقافية:

طرحت ظاهرة العولمة الكثير من الإشكاليات والتحديات على مختلف الأصعدة، ولم تتوقف أثارها عند مستوى اقتصادي كوكبي، بل أدى تشكيل هذا النظام بآلياته المستحدثة إلى نتائج أخطرها ثقافية حيث غيرت من طابع الشخصية القومية أو ما يسميه "أريك فروم" بطابع الشخصية المجتمعية، وتشكل عولمة الإعلام والاتصال تهديدا للتعددية الثقافية، وطمس الهويات الثقافية للشعوب وقد تساعد على ذلك حالة الثقافة في بعض المجتمعات الأقل تطورا [18]

إذ كانت العولمة تدعوا في ظاهرها إلى توحيد الأفكار والقيم وأنماط السلوك على مستوى ثقافات العالم ومجتمعاته كخطوة أساسية لإقرار الفهم المتبادل وتحقيق السلام العالمي، إلا أنها تخفي وراءها إمكان تجريد الشعوب من مقوماتها الثقافية المتميزة والمتفردة، كما تتضمن تعريضها وتعريض ثقافتها لتأثير ثقافة عالمية واحدة تتولى صياغتها وتشكيلها القوى الأكثر تقدما والأشد قدرة على نشر أفكارها، بما تملك من تقدم في تكنولوجيا الاتصال والإعلام، الأمر الذي يسلم في النهاية إلى هيمنة هذه الثقافة على بقية ثقافات العالم وتهميشها [19]

فالعولمة الثقافية تقوم على تسييد الثقافة الرأسمالية لتصبح الثقافة العليا، كما أنَّها ترسم حدوداً أخرى مختلفة عن الحدود الوطنية مستخدمة في ذلك شبكات الهيمنة العالمية على الاقتصاد والأذواق والثقافة. هذه الحدود هي: "حدود الفضاء (السبرنيتي) والذي هو بحق وطن جديد لا ينتمي لا إلى الجغرافيا ولا إلى التاريخ، هو وطن بدون حدود، بدون ذاكرة، إنّه وطن تبنيه شبكات الاتصال المعلوماتية الإلكترونية". [20]

العولمة الثقافية في خدمة السيادة المركزية، والهيمنة الغربية (النظام العالمي الجديد بقيادة أمريكا)، وتوطيد معاني العولمة الاقتصادية والسياسية، ونقل هذا النموذج الثقافي العالمي إلى باقي الشعوب الأخرى. إنها تهدف إلى نزع الخصوصية الفردية ومحو الهوية الذاتية للمجتمعات، خاصة المجتمعات العربية الإسلامية، ذلك أن أنصار العولمة لا يعترفون بالهوية الشخصية، سواء هوية الفرد الواحد، أو المجتمع الواحد، أو الدولة الواحدة، أو الأمة الواحدة. تهدف العولمة إلى توحيد الثقافة العالمية، وصهرها في ثقافة واحدة، وإلغاء التعددية الثقافية وحق التنوع الثقافي. [21]

إنّ العولمة لا تكتفي بتسييد ثقافة ما، بل تنفي الثقافة من حيث المبدأ، وذلك لأنّ الثقافة التي يجري تسييدها تعبر عن عداء شديد لأي صورة من صور التميز، إنّ الثقافة الغربية تريد من العالم أجمع أن يعتمد المعايير المادية النفعية الغربية، كأساس لتطوره، وكقيمة اجتماعية وأخلاقية، وبهذا فإنّ ما تبقى يجب أن يسقط، وما تبقى هنا هو "ليست خصوصية قومية بل مفهوم الخصوصية نفسه، وليس تاريخا بعينه بل فكرة التاريخ، وليس هوية بعينها وإنما كل الهويات، وليس منظومة قيمية بل فكرة القيمة، وليس نوعا بشريا، وإنّما فكرة الإنسان المطلق نفسه". [22] إنَّها تسعي إلى تحطيم كل الثوابت الدينية والفكرية والأخلاقية، للوصول إلى بناء إنسان هامشي، دون جذور قوية ثابتة، كي يذوب بسهولة في بحر الثقافة الغربية الرأسمالية المادية.

العولمة الثقافية (بين المؤيد والمعارض):

إن إشكالية العولمة الثقافية تكمن في العلاقة بين الكونية والخصوصية، بين العام والخاص في مجال إنتاج القيم الرمزية ويصبح السؤال الأساسي هو: هل باتت الثقافة تنهل أسباب وجودها وشخصيتها من مصادر فوق وطنية أو خارج المجتمع الوطني؟ هل تصبح الثقافات المحلية موحدة على مستوى العالم؟ هل يمكن أن تكون هناك ثقافة كونية أم ستستقل الثقافات باستقلاليتها النسبية إزاء النظام العولمي الجديد؟

في محاولة الإجابة عن تلك التساؤلات التي تدور معظمها حول عولمة الثقافة وثقافة العولمة: اختلف الباحثون.

الموقف الأول:

فيرى في عولمة الثقافة تجرد من الولاء لثقافة ضيقة ومتعصبة إلى ثقافة عالمية واحدة يتساوى فيها الناس والأمم جميعا، تحرر من التعصب لإيديولوجيها معينة والاتجاه نحو الانفتاح على مختلف الأفكار من دون أي تعصب وتشنج، تحرر من كل صور اللاعقلانية الناتجة عن التحيز المسبق لأمة أو دين أو إيديولوجيا يعينها، وتبني عقلانية العلم وحياد الثقافة [23]، كما أن العولمة الثقافية لم تقض على الخصوصية بل ساهمت إلى

جانب عوامل ومتغيرات أخرى إلى إحياء الانتماءات الأولية والتحتية لبعض القوى والجماعات في العديد من دول الجنوب، وخاصة في العالمين العربي والإسلامي فبعض الجماعات أصبحت أكثر خشية على هويتها وخصوصياتها الثقافية والحضارية تحت ضغط عملية العولمة الثقافية مما جعلها أكثر تشبثا بهوياتها الذاتية [24]

الموقف الثاني:

يذهب فريق أخر إلى أن عولمة الثقافة هي محاولة خلق مجتمع عالمي واحد ذي ثقافة واحدة ويتمثل الهدف الرئيسي للثقافة الجديدة في تهميش الثقافات التقليدية وأن تستبدل بثقافة ديناميكية عصرية تقوم على فلسفة لحياة علمانية مادية تتألف في معظمها من القيم الغربية المادية والفردية أو ثقافة استهلاكية [25]

العولمة الثقافية تعني أوَّل ما تعني سلب سيطرة الدول على المجال الثقافي، بغية إحداث خلخلة في البنية الثقافية لتلك الدول مما يساعد بطبيعة الحال على نشر ثقافة العولمة، التي هي السلاح الآخر الذي أخذ تجار العولمة يستخدمونه لامتصاص ثروات الشعوب. [26]

يقول العالم الأمريكي المعروف ناعوم تشومسكي: "إنّ العولمة الثقافية ليست سوى نقلة نوعية في تاريخ الإعلام، تعزز سيطرة المركز الأمريكي على الأطراف، أي على العالم كله". [27]

فالعولمة الثقافية تقوم على تسييد الثقافة الرأسمالية لتصبح الثقافة العليا، كما أنَّها ترسم حدوداً أخرى مختلفة عن الحدود الوطنية مستخدمة في ذلك شبكات الهيمنة العالمية على الاقتصاد والأذواق والثقافة. هذه الحدود هي: حدود الفضاء (السبرنيتي) والذي هو بحق وطن جديد لا ينتمي لا إلى الجغرافيا ولا إلى التاريخ، هو وطن بدون حدود، بدون ذاكرة، إنّه وطن تبنيه شبكات الاتصال المعلوماتية الإلكترونية". [28]

وللإشارة فقد ارتكز المناهضين لظاهرة العولمة على جملة من التحديات الثقافية التي تطرحها العولمة ومن بين المناهضين للعولمة الثقافية نشير هنا إلى أطروحة محمد عابد الجابري، وعبد الإله بلقيز في كتاب ندوة " العرب والعولمة " وكذلك أطروحة الدكتور حسن حنفي الداعي إلى تكوين قطب ثنائي جديد كما يطرح أنور عبد الملك رؤيته إزاء هذه الظاهرة قائلا تعاملوا مع العولمة على سبيل السلب والنفي، بوصفها وكما يقول حرب استباحة للقيم وغزوا للثقافات واستلاب للهويات وتسلطا على الشعوب والمجتمعات [29]

مخاطر العولمة الثقافية:

الهيمنة الثقافية:

بالرغم من أن الهيمنة الثقافية مثلت سمة من سمات الإمبريالية إلا ن الهيمنة الثقافية بوصفها عملية تاريخية لم تأخذ موقعها جنبا إلى جنب مع الامبريالية الاقتصادية والسياسية إلا في عقد الستينات كموضوع أو مجال رئيسي للدراسة العلمية، حيث تركز الاهتمام على تأثير وسائل الإعلام والاتصال غربية المسيطرة على النشاطات المعرفية في العالم وذلك ما حدا باليونسكو إلى المطالبة " بنظام معلوماتي واتصالي جديد" استكمالا لدعوة الأمم المتحدة إلى " نظام اقتصادي عالمي جديد " وفي البداية يقول "تيلور" كانت هذه الدراسات تتسم بالطابع التبسيطي من خلال التقديرات المبالغ فيها لقوة الإمبريالية الثقافية. أما اليوم فقد بدأنا ندرك أن العملية أكثر تعقيدا من مجرد الخيار بين تفسير هذه العولمة إما على أنها قمع ثقافي، وإما قرية كونية حيث أكدت أن الجمهور ليس متلقيا سلبيا للإعلام الخارجي، كما أنهم ليسوا مجبرين على مشاهدة برامج التلفزيون الأمريكي، غير أن النتائج لا تأتي مباشرة وواضحة المعالم دائما. [30]

إقصاء الدين وإبعاده عن التأثير في جوانب الحياة المختلفة:

لعل من أبرز التحدي الثقافي للعولمة موقفها السلبي من الدين وتهميش دوره في الحياة، وإقامة نظم المجتمع الإنساني بمعزل عن الدين وتوجيهاته الشاملة لكل جوانب الحياة، وقد مارس أعداء الإسلام هذه السياسة منذ أمد طويل تحت ما عرف بالغزو الفكري، وأعادوا التركيز على ذلك اليوم من خلال ما يسمى بالعولمة: فالعولمة نتاج شعوب علمانية أقامت معظم شئونها بعيدا عن مفاهيم أي دين، وبما أن العولمة تعمم معطيات ثقافية دنيوية ومادية بحتة دون أي اهتمام بمدى انسجام تلك المعطيات مع الإيمان بالة واليوم الأخر، فإنه يمكن القول: إن العولمة تتنفس في محيط علماني، وتنشر الفكر العلماني، وتؤسس لأرضيات وخلفيات علمانية، وهذا يشكل تحديا من أكبر التحديات لأمة الإسلام "[31]

ولما كان الدين الإسلامي هو قاعدة الثقافة والحضارة الإسلامية فقد اتجه هجوم العولمة على الدين ذلك لأن هناك تناقض بين معاني ومضامين العولمة والدين، فإذا كان الدين يسمو بالإنسان روحيا، فإن العولمة توسع مساحة الغرائز لدى الإنسان، حتى تهبط به إلى مادون ذلك، ربما حتى الدرك الأسفل[32]ومن أبرز الآثار السلبية للعولمة الثقافية في المجتمعات المسلمة فيما يتعلق بالجانب العقدي، مايمكن إيجازه في النقاط التالية:

-التشكيك في صحة العقيدة الإسلامية، وإثارة الشبهات حولها.

-تقيد النصارى في عقائدهم وعاداتهم التي تتناقض مع عقيدة الإسلام

-نشر الكفر والإلحاد في بلاد المسلمين، بمختلف الوسائل والأساليب.

-تشجيع النزعة المادية في الحياة، وإغفال القدرة على الإلهية في تصريف شؤون الكون.

-إثارة الفتن والخلافات المذهبية بين المسلمين، وإثارة النزعات الطائفية لإضعاف كيان هذه المجتمعات والسيطرة عليها.

-محاربة الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، في المجتمعات المسلمة والزعم بمعارضتها لحقوق الإنسان، وعدم صلاحيتها للإنسان المعاصر. [33]

فالعولمة تطمح إلى إذابة الفوارق بين الشعوب، إلغاء الخصوصيات الثقافية وتوحيد الأذواق والأعراف والرغبات لتحقيق مصالح اقتصادية للمستفدين من تيار العولمة الجارف.

تسليع الثقافة:

يذهب بعض العلماء في تعريفهم للعولمة بالتأكيد على أن الثقافة بوصفها منتجا اجتماعيا قد أصبحت جزءا من العملية الاقتصادية التجارية الجديدة كغيرها من السلع والمنتجات المادية إذ تحررت من القيود الجمركية وأصبحت قابلة للتداول على أوسع نطاق في السوق العالمية وتخضع لنفس الإجراءات والأحكام المفروضة على سواها من السلع المادية غير أن مجال المنافسة في تسويق هذه السلعة أصبح محدودا للغاية وغير متاح إلا للقوى الرئيسية المسيطرة على تكنولوجيا صناعة المعلومات وتشكيل العقول، الأمر الذي يشير إلى أن التبادل الثقافي العالمي الجاري حاليا هو تبادل غير متكافئ يتغذى من التفاوت في ميزان القوى الثقافية على الصعيد العالمي بين ثقافات مسلحة بالتكنولوجيا الاتصالية والمعلوماتية وبين ثقافات مجردة من أية حماية تكنولوجية أو تشريعية مما يحول دون خلق التفاعل المنتظر بين الثقافات والمجتمعات وهنا يبرز الوجه الحقيقي لما يسمى بثقافة العولمة التي تعني في جوهرها سوى سيطرة الثقافة الغربية (الأمريكية على وجه الخصوص التي يشار إليها بعبارة الأمركة[34]، وقد عبر عن خطورة هذا الأمر فوكنر وزير الخارجية الكندي السابق، بقوله " لئن كان الاحتكار أمرا سيئا في صناعة استهلاكية فإنه أسوأ إلى أقصى درجة في

صناعة الثقافة، حيث لا يقتصر الأمر تثبيت الأسعار، وإنما تثبيت الأفكار أيضا " [35]

إذ أن من سلبيات العولمة الثقافية تحويل الثقافة نفسها ومؤسساتها إلى سلعة، وأمام إشاعة ثقافة العولمة ذات الطابع المؤمرك والمتجهة إلى إقصاء الثقافات الأخرى، من خلال قوتها المالية وقدرتها على الإنتاج والتوزيع، لا من خلال قيمتها الثقافية أو منافستها الثقافية.

الاختراق الثقافي:

إن حالات التبادل الثقافي غير المتكافئ أدت وتؤدي تدريجيا إلى فقدان الثقافة الأدنى لمقومات استمراريتها ومن ثم تفككها وانهيار مما يخلق إشكالية كبرى على صعيد الهوية، وعلى نمط الحياة الاجتماعية من جراء العولمة الثقافية أو ما يطلقون عليه الاختراق أو الغزو الثقافي [36]، ويقول جون بيير (Jean Pierre) أستاذ في الأنثربولوجيا بجامعة باريس: "أن العولمة الثقافية تترجمها اختراق القيم وأساليب التطور الثقافي، وتغريب السلوكات وترسيخ الديمقراطية التي تغير البنى الاقتصادية والسوسيو-ثقافية، هذا التغريب الذي يقضي على الاختلافات الثقافية المحلية والخاصة ببعض البلدان، و سلعنة العالم ستؤدي إلى سيادة قيم ومعايير العالم الغربي وبذلك تجانس ثقافي تدعمه وسائل الاتصال الجماهيرية التي تخاطب جماهير واسعة وغير متجانسة [37] ويمر الاختراق حسب محسن الخضري عبر ثلاث آليات [38]:

-تخسر الدول النامية ثقافتها بفعل ضغط اختراق واجتياح التيار الثقافي العالمي التي تمثل مرحلة حيوية ودقيقة من استلاب الثقافات المختلفة وجعلها تخدم مصالح الثقافة العالمية الغربية.

-تعميم الانقسام والتفكك، والتشرذم الداخلي وإظهار الثقافة الوطنية في صورتها الضعيفة والعاجزة عن تقديم الشخصية الناجحة، بالمقابل تبرز ثقافة العولمة متفرقة وراقية.

-بروز روابط وشبكات وآليات تعمل على إيجاد قيم تساعد على الانتقال إلى الثقافة العالمية والعبور بالفكر الثقافي إلى أبعد نقاط العالم، ذلك لإحداث نوع من التواجد الثقافي.

فأخطر النتائج المترتبة على العولمة، تلك المتصلة بمخاطر الاقتلاع الثقافي والخوف من فقدان الهوية لدى العديد من الشعوب والأمم، فلقد تمكنت وسائل العولمة من اختراق الحدود الثقافية انطلاقا من مراكز صناعة وترويج الثقافة السائدة ذات الطابع الغربي المُؤمرك، عبر آليات التأثير الإلكتروني، مستخدمة الصورة بدل الكلمة، لصالح اكتساح الفضاء الثقافي الذي يُغزي بقيم الغالب الثقافية ونظرياته على حساب قيم الشعوب المغلوبة، مهددا إياه بالانزواء والاحتماء بالتاريخ والتراث، أو الذوبان في خضم الثقافة السائدة والضياع في تيارها الجارف.

وتستند العولمة في دعم نفوذها الثقافي على نظام إلا علامي متطور وأساليب اتصال تقنية متقدمة وعلى درجة عالية من الكفاءة والتعقيد والفاعلية وقوة التأثير، ولذا فوسائل الإعلام وأساليب الاتصال المتطورة تعد من أخطر أدوات الاختراق الثقافي التي تستخدمها العولمة في نشر نفوذها وسيطرتها على ثقافات الشعوب والأمم [39]

ثقافة عالمية لسوق عالمي:

تستخدم الشركات المتعددة الجنسية لتوسيع السوق العالمي وعولمته، ولنجاح ثقافة السوق العالمي جندت وسائل قوية تعمل عبر العالم كله لتصريف الثقافة العالمية إنها وسائل الإعلام، التي تلعب دور الاقتصاد، بعد أن جعلت الثقافة عالما واحدا [40] ويقول حكمة عبد الله البزاز: "العولمة رديف للأمركة، وإن تقنعت بأقنعة العلم والتكنولوجيا، فنموذج الثقافة الأمريكي يتسلل عبر الشركات عابرة القارات

إلى كل مكان في العالم، وينتشر بسرعة مذهلة لا لأنه بالضرورة أصلح النماذج ولكن كما ينتشر وباء في العالم. الأمركة هنا أمركة مظاهر الحياة كلها، سواء في الاقتصاد أو العلوم أو القيم والتقاليد وحتى الألعاب والفنون والأمراض والجوع". [41]

كما قد أصبحت الدراما التلفزيونية إحدى الوسائل التي تعتمدها العولمة الثقافية لبلوغ أهدافها، فإن الشركات عابرة القارات، اقتحمت ميادين الإنتاج الدرامي والتلفزيوني وصارت تضخ سلسلة من المسلسلات الدرامية المعولمة، مستفيدة من التسهيلات التي توفرها تقنية البث الفضائي، هذه الأعمال الدرامية مصنوعة بمواصفات خاصة، تهدف إلي تحقيق المتعة البصرية، وتحييد الوعي كخطوة أولى تمهيدا لاستمالته في خطوة لاحقة، وهي تقوم على حبكات يتم نسجها بعناية في موضوعات شديدة الإثارة. ويحرص أصحابها على توظيف كل الخبرات والوسائل الفنية والتكنولوجية وكل ما يعمل على إقناع البصر ودغدغة الحواس، والتلاعب بالعواطف، وتغييب الوعي في آن واحد

-الترويج لثقافة الاستهلاك:

في ظل آليات الهيمنة العالمية تحولت الثقافة الاستهلاكية إحدى مجالات تدويل النظام الرأسمالي، إلى آلية فاعلة لتشويه البنى التقليدية، وتغريب الإنسان وعزله عن قضاياه وإدخال الضعف لديه والتشكيك في جميع قناعاته الوطنية والقومية والإيديولوجية والدينية، وذلك بهدف إخضاعه نهائيا للقوى والنخب المسيطرة على القرية الكونية، وإضعاف روح النقد والمقاومة عنده حتى يستسلم نهائيا إلى واقع الإحباط، فيقبل بالخضوع لهذه القوى أو التصالح معها [42]

إذ يلعب التلفزيون دورا محوريا في إنتاج وإعادة ثقافة ترويجية تركز على استخدام الإعلان المعتمد على الصور المرئية من أجل خلق علامات تجارية أو سلعية ذات قيمة مضافة، إذ تعبر عبارة ثقافة "كوكاكولا "و"ماكدونالدز" عن عالمية هذه الثقافة الترويجية وتبرز الصلة المزعومة بين الرأسمالية والإعلان والمجانسة الثقافية [43]، فالإشهار التلفزيوني يُعتبَر من أكثر أجهزة الثقافة انتشارا وقوّة وإقبالا عند الناس، لذلك ينظرون (المختصّين) إليه بأنّه عدسة الثقافة الّتي تسجّل معالم العَالَم المختلف ويؤكّد ذلك (جورج فريدمان) فيما يلي: " يعدّ التلفزيون ببرامجه وإشهاراته المتنوّعة مدرسة شاملة يمكنها أن تقدّم الثقافة للجماهير، حيث يلقى فيها كلّ من المربي، وعَالِم الاجتماع، ورجل الاختراع شيئا من آرائه وتجاربه الّتي يعيشها في الحياة "[44]، و قد ساهمت السلع الغربية المروج لها عبر الإعلانات في الانتشار السريع والفعال لأنماط القيم الغربية في الفن والملبس والمأكل والتسلية، مما أدى إلى تشويه البنى التقليدية للأمم وتغريب الإنسان، وعزله عن قضاياه الحقيقية، وتشكيكه في جميع قناعاته الوطنية والقومية والدينية، من أجل إخضاعه نهائيا للقوى المسيطرة الغربية. وقد وذهب كل من الألمانيين "هانس بيترمارتن وهارالد شومان" صاحبا كتاب فخ العولمة إلى أنّ: "العولمة هي عملية الوصول بالبشرية إلى نمط واحد، في التغيير والأكل والملبس والعادات والتقاليد". [45]

فكل هذا من أجل ضبط سلوك الدول والشعوب، وتهميش الثقافة القومية في دول الجنوب، وطمس سماتها، ثم إزاحتها بعد ذلك وتقديم الثقافة المعولمة التي هي ثقافة دول الشمال بديلا، بوصفها تقدم لفقراء الجنوب صورة زاهية لـ"فردوس" الشمال المتقدم، على الرغم من أن أبرز مظاهر مسلسلات العولمة المتوحشة تتمثل في التركيز على الجسد وتنشيط الغرائز وتحجيم النشاط العقلي، وتمجيد الفرد، وإشاعة السلبية، وهذا ما أدى إلى إشاعة ما يسمى بأدب الجنس وثقافة العنف التي من شأنها تنشئة أجيال كاملة تؤمن بالعنف كأسلوب للحياة وكظاهرة عادية وطبيعية. [46] وما يترتّب على ذلك من انتشار الرذيلة والجريمة والعنف في المجتمعات الإسلامية، وقتل

أوقات الشباب بتضييعها في توافه الأمور وبما يعود عليه بالضرر البالغ في دينه وأخلاقه وسلوكه وحركته في الحياة، وتساهم في هذا الجانب شبكات الاتصال الحديثة والقنوات الفضائية وبرامج الإعلانات والدعايات للسلع الغربية وهي مصحوبة بالثقافة الجنسية الغربية التي تخدش الحياء والمروءة والكرامة الإنسانية ولقد أثبتت الدراسات الحديثة خطورة القنوات الفضائية- بما تبثه من أفلام ومسلسلات جنسية فاضحة- على النظام التعليمي والحياة الثقافية والعلاقات الاجتماعية ونمط الحياة الاقتصادية في العالم الإسلامي. (47)

كما ساهمت الثقافة الاستهلاكية إلى تكريس العزلة الاجتماعية، بحيث أصبح كلن يعيش لنفسه في حين يتبادلون التأثير من خلال رموز الاستهلاك، ويتم ذلك عبر أمركة التلفزيون في كل بلاد العالم لخلق عقلية وسيكولوجية ثقافة الاستهلاك وسيطرة القيم المادية للحياة، مما يؤدي إلى تفريغ العالم من المعنى، على حد تعبير المفكر الفرنسي المسلم "روجيه جارودي" في أحد مؤلفاته.

-الاضمحلال الثقافي:

وكان من تجليات العولمة وسلبياتها القضاء على الخصوصية الثقافية والأخلاقية والدينية حيث رفعت شعار توحيد القيم والتصورات والرؤى والغايات والأهداف، وهي بذلك تختزل العالم إلى مفهوم، وتتخطى حقيقته باعتباره تشكيلا متنوعا من القوى والإرادات والانتماء والثقافات والتطلعات. وإن توحيدا لا يُقر بالتنوع سيؤدي إلى توتر يفّجر نزعات التعصب المغلقة، وعودة إلى إحياء الخصوصيات الضيقة التي تتغذى من مرجعيات عرقية ودينية مغلقة، مما يقود إلى الارتماء في سجن الهويات الثابتة المغلقة ولذلك يقول "جلال أمين" في كتابه عن العولمة "ومن الغريب أن القلق المتزايد، داخل المجتمعات المتقدمة اقتصاديا من التهديد الذي تتعرض له بعض أنواع الحيوانات والطيور التى يهددها التقدم التكنولوجي بالانقراض، لا يقابله قلق لما يحدث لثقافات الأمم المختلفة من وراء هذا التقدم التكنولوجي نفسه، مع أن هذه الثقافات مهددة هي أيضا بالانقراض، والخسارة في هذه الحالة لا تقل فداحة".

القضاء على الخصوصية الثقافية:

تسعى العولمة إلى نزع الخصوصية الشخصية للشعوب المسلمة (التي تتمثل في: الدين واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد والأخلاق)، بما تنطوي عليه من الترويج لقيم معينة لحضارة معينة هي الحضارة الغربية. (48) إنّ أخطر ما في العولمة أنَّها تنشر أفكاراً وسلوكيات من شأنها تحطيم الولاء للقيم التراثية والدينية الأصلية، والولاء للوطن والأمة، وإحلال أفكار وولاءات جديدة محلها. (49)

فالثقافات الوافدة تشكل خطراً على الهوية العربية والإسلامية، وبخاصة في ظل ضعف التحصينات الداخلية، والانفتاح بلا وعي على العالم الغربي، وخصوصاً الجانب الإعلامي، إنها تستهدف القضاء النهائي على التراث الثقافي والمكون الحضاري للأمة العربية والإسلامية، بعد أن لم يبق في مواجهة الطغيان الغربي سوى الإسلام، وما يحمله من الضوابط والقواعد الأخلاقية.

التهوين من شأن اللغة العربية:

وإن كانت اللغة من أكثر الأنظمة الثقافية تمثيلا للخصوصية الثقافية فقد تأثرت هذه الأخيرة بالعولمة حيث نلاحظ أن لغة الحياة اليومية تنتشر فيها كثير من المفردات الأجنبية، يضاف إلى ذلك انتشار تعلم اللغات الأجنبية في مختلف مراحل نظمنا التعليمية، وذلك اتساقا مع متطلبات سوق العمل في عصر العولمة، مما يعني حصار اللغة العربية حاضرا ومستقبلا(50)

إن المتأمل لواقع المجتمعات العربية المعاصرة يلاحظ بوضوح وجلاء أن اللغة العربية تواجه العديد من التحديات الضخمة من بل قوى العولمة المختلفة

المتمثلة في المصالح المادية الناجمة عن الاتصال بالأجنبي، والتأثير الإعلامي القائم على الصخب والضجيج والتبشير باللغة الإنجليزية على أنها اللغة العالمية، والواقع أن الإدعاء بأن اللغة الإنجليزية لغة عالمية إدعاء ليس لها نصيب من الصحة عندما يوضع على محك البحث العلمي، حيث أثبت (صامويل هنجتون) في كتابه (صدام الحضارات) أن القول بعالمية اللغة الإنجليزية ما هو إلا وهم كبير. إذ يقول محمود الناقة: " إن هيمنة اللغات الأجنبية يجعل أبناءنا لا يثقون فيها، وينظرون إليها نظرة دونية، ومن ثم ينظرون إلى ثقافتنا نظرة دونية، ومن هنا تنهار فيهم مقومات الشخصية العربية "[51]

ولذلك فإن التحدي الحقيقي الذي يواجه اللغة العربية في عصرنا الحاضر ناتج عن الهزيمة النفسية التي تعاني منها الشعوب العربية وسقوطها المبالغ فيه بأهمية اللغة الأجنبية الناتج عن الانبهار بكل ما هو أجنبي والظن الزائف بأن التقدم والتنمية لا تتم إلا عن طريق إتقان اللغة الانجليزية واستخدامها بين أفراد المجتمع العربي في كل مجالات الحياة، باعتبارها لغة العلم والمعرفة والحضارة والتقدم والازدهار. وقد أخذ هذا التحدي مظاهر ومجالات عديدة بفعل ضغط العولمة وتشجيعها لاستخدام اللغة الإنجليزية في كافة مجالات الحياة في المجتمعات العربية. [52]

خطوات لمواجهة مخاطر العولمة الثقافة:

إن طريق الخلاص من مخاطر العولمة الثقافية يبدوا سهلا وواضحا من خلال التشبث بالإسلام عقيدة وشريعة وتحكيمه في النظر إلى الظواهر العالمية المستجدة، وتفسيرها لردها إلى حجمها الحقيقي في إطار المنظومة الإسلامية الصحيحة التي تتسم بالشمولية والواقعية والعالمية والخيرية. غير أن تصريف هذا الموقف يتطلب التعبئة الشاملة للمجتمع للتصدي لمخاطر العولمة المحتملة والأكيدة، ونجمل عناصر هذه التعبئة في الخطوات العملية التالية:

-تحصين الذات بالتربية الإسلامية الصحيحة والسليمة للفرد والأسرة، والطفل بالخصوص لأنه رجل المستقبل والحامل لبذور القوة والهزيمة بحسب التنشئة التي يتلقاها في وسطه.

-بناء استراتيجية ثقافية إسلامية قوية وراشدة وفعالة تقدم الإسلام للبشرية على أنه البديل والخلاص الوحيد من محن العولمة المادية، وتوضيح حقيقة الأنموذج الحضاري الإسلامي.

3-وضع قاعدة لإعلام إسلامي يعنى بتقديم الصورة الحقيقية للإسلام باعتباره هداية للبشرية وكشف عورات الحضارة الغربية المادية وبيان نواقصها ومخاطرها على الجنس البشري. هذا بالإضافة إلى التوحد والإتحاد والتحالف والتضامن بين الدول النامية، والتي سوف تكون بالضرورة قوة تخفف من مواجهة السيطرة الأحادية القطبية. وهذه من طبيعة الأمور ومن منطق التاريخ، فلا يوجد حضارة قد استمرت تسيطر وحدها على العالم كله وخاصة إذا كانت تتسم بالعنف والقوة والاحتلال[53]

-مادام من غير الممكن للعرب في حدود تطورهم العلمي والتقني الراهن التأثير على الطابع التقني للعولمة، أي الدخول فيها من زاوية المشاركة الفعالة في ثورة المعلومات والاتصالات، فلا يمكن لهم الاستفادة الفعلية منها إلا إذا نجحوا في توفير شروط تسمح بتفتح إمكاناتها لديهم وبلورة إستراتجية تتيح لهم السيطرة على بعض عناصرها أو على عناصر أساسية فيها. [54]

-إن الواقع العالمي المعاصر والمعولم يفرض على الدول العربية والأمة الإسلامية أن تبذل أقصى ما لديها من جهد للمحافظة على هويتها الحضارية والثقافية، وإلا تعرضت للفناء والموت، وذلك لأن الأمم لا تفنى عن طريق الموت البيولوجي، وإنما عن طريق تحللها ثقافيا وتلاشي شخصيتها حضاريا واندماج أبنائها في ثقافات الأمم الأخرى وفي انتشار ثقافة

العولمة نحتاج لثقافة مضادة قوية تجعلنا نتمسك بقيمنا الإنسانية والإسلامية مع الأخذ بكل أساليب التقدم والنهضة والتنمية والعلم. فالتموقع الثقافي ورفض التفاعل مع الثقافات الأخرى يمثل إستراتجية محكومة بالفشل فليست الخصوصيات الثقافية هي بدورها ثابتة بل تخضع للتطور العام، وبالتالي يجب التميز بين الخصوصيات الموروثة من الماضي وبين الخصوصيات الناتجة باستمرار والمتجددة في ظل التطور العام، ولئن كان الحفاظ على الموروث التاريخي مستحيلا، إنما لا يعني ذلك أن التطور العام ينتج تجانسا متزايدا على مختلف مستويات الواقع الاجتماعي. بل ينتج باستمرار اختلافات جديدة تنبع عن تفاعل إستراتجيات الفاعلين أي (خصوصيات) جديدة لا يمكن تصورها إلا وجهنا نظرنا نحو المستقبل وليس في اتجاه الماضي.

وفي الأخير يمكن القول بأن الأخذ بتقنيات العولمة أمر ضروري للدفاع عن البقاء وضمان النجاعة الاقتصادية والثقافية، لكن الاستفادة الفعلية من هذه التقنية غير ممكنة من دون أن تقف وراءها إستراتجية ذاتية تحد من استخداماتها من قبل القوى الكبرى لأهداف الهيمنة.

ومادام من غير الممكن للعرب في حدود تطورهم العلمي والتقني الراهن التأثير على الطابع التقني للعولمة أي الدخول فيها من زاوية المشاركة الفعالة في الثورة المعلومات والاتصالات فلا يمكن لهم الاستفادة الفعلية منها إلا إذا نجحوا في توفير شروط تسمح بتفتح إمكاناتها لديهم وبلورة إستراتجية تتيح لهم السيطرة على بعض عناصرها أو على عناصر أساسية فيها.

الهوامش

(1) بركات محمد مراد: ظامرة العولمة بين رفض العرب والمسلمين والترويج الغربي، ص 121نسخة إلكترونية متاح على الرابط WWW. Kotobarabia. com

(2)Dictionary of wordorigin: Liban: library Beirut,1985,p11

(3) New Webster: dictionary of English language,1988,P619

(4)مجموعةباحثين: العرب والعولمة بحوث ومناقشات، الندوة الفكرية، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 2000، ص 22

(5) إسماعيل صبري عبد الله: الكونية الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الأمبريالية، مجلة الطريق، أوت 1997، ص 46

(6) محمد عبد الشفيع عيسى: رؤية إلى المستقبل العربي من التحديث إلى استئناف التطور الحضاري، كتاب العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي، تحرير عبد الباسط عبد المعطي، القامرة: مكتبة مدبولي، 1999، ص 180-181

(7) السيد ياسين: في مفهوم العولمة، مجلة المستقبل العربي، العدد 228، بيروت، ص 6

(8) صابر حارص: إيديولوجية الصحافة العربية والنظام العالمي الجديد، القامرة: العربي للنشر والتوزيع، 2006، ص 65

(9) صادق جلال العظم: مامي العولمة، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1996، ص 04

(10) إسماعيل، عبد سعيد عبد: العولمة والعالم الإسلامي. أرقام وحقائق، ط1، دار الأندلس، 2001م، ص 45

(11)محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية-عشر أطروحات-، دار المستقبل العربي، بيروت، العدد 228، 1998، ص37.

عبد الباسط عبد المعطي: العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي، القامرة: مكتبة مدبولي 1999، ص 32 (12)

(13)جلال أمين: العولمة والدولة، المستقبل العربي، العدد 228، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، فيفري، 1998، ص 23

(14) العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي، ع228 فيفري1998، ص 19

(15) عمر عبد الكريم: مفهوم العولمة http// 4shared. com

(16)لويس دولو: الثقافة الفردية، ثقافة الجمهور، ترجمة عادل

العوا، بيروت منشورات عويدات، 1982، ص 87

(17)مالك بن نبي: تأملات -مشكلات الحضارة، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق-الطبعة الخامسة 199، ص 147

(18) محمد عابد الجابري: العرب والعولمة مجموعة بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، تحرير أسامة الخولي، بيوت: مركز دراسات الوحدة العربية، ديسمبر، 1994، ص 297

(19)محمد عبد الجابري: العولمة والهوية الثفافية، تقيم نقدي لممارسات العولمة في المجال الثقافي في " العرب والعولمة " ندوة مركز دراسات الوحدة العربية تحرير أسامة الغزالي حرب ن بيروت، 1998، ص198

(20)قضايا في الفكر المعاصر: د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997م، ص147-148.

(21)علي، أجقو: الثقافة العربية الإسلامية وتحديات العولمة، موقع التنظيم القضائي الجزائري، شبكة المعلومات الدولية (http: //www. univbatna. dz/droit/culturearabemusulmane. htm).

(22)أمين جلال: العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث، مجلة المستقبل العربي، العدد 60، ص 100.

(23)جلال أمين: العرب والعولمة، مرجع سبق ذكره، ص 103

(24) جلال أمين: العولمة والهوية الثقافية والمجتمع الحديث، المستقبل العربي، العدد 234 أغسطس، 1998

(25) عمر جاه: أثر العولمة الثقافية من كتاب عالية الإسلام والعولمة، الأردن دار الفكر للنشر، 2005، ص 365

(26) مرتضى، معاش: العولمة رؤى ومخاطر، مجلة النبأ، عدد 35، السنة الخامسة، 1420/2000م، ص. 4.

(27) هانس بيترمارتين ومارولد شومان: فخ العولمة، ترجمة عدنان عباس علي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص125.

(28)محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1997، ص147-148.

(29)تركي على الربيعو: ما العولمة؟ مجلة الكلمة، العدد 26، بيروت، 2000، ص 135

(30)صلاح سالم: عن العولمة... التاريخ والبنية والمستقبل، ط 1، مصر: المكتبة الأكاديمية، 2005، ص 61

(31)بكار عبد الكبير: العولمة، الأردن: دار الإعلام، ص 51

(32)على ليلية: تأملات في ظوامر الإحياء الديني والعنف، ط 2، المكتبة المصرية، 2006، ص 67

(33)صالح بن سليمان بن صالح العمرو: تحديات العولمة الثقافية، ط1، الأردن: مركز ديبونو لتعليم التفكير، 2013، ص 22-23

(34)عواطف عبد الرحمن: الإعلام والعولمة البديلة، ط1، (القامرة: العربي للنشر والتوزيع، 2006)، ص 16

(35)عمرو عبد الكريم: العولمة: عالم ثالث على أبواب قرن جديد، المنار الجديد، ص44

(36) أحمد مجدي حجازي: العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، رؤية نقدية من العالم الثالث، عالم الفكر، العدد 6، أكتوبر / ديسمبر1999، ص 137

(37)Jean Pierre Waarnnier: La mondialisation de la culture, 3em ed paris: edition la decouvert,2004,p 7-8

(38)محسن أحمد الخضيري: مقدمة في إقتصاد و إدارة اللادولة، مجموعة النيل العربية، 2000، ص 26

(39)أحمد مصطفى أبوزيد: التحدي الثقافي، رسالة الخليج، العدد 32، الرياض، ص 89

(40) فريدريك جيمسون: ثقافات العولمة، ترجمة ليلى الجبالى، ط1، القامرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2004، ص 289

(41) البزاز عبد الله حكمة: العولمة والتربية، جريدة البيان – دولة الإمارات العربية المتحدة -دبي-عدد الاثنين 25 ربيع الأخر 1422هـ-16 يوليو 2001.

(42)مسعود ظامر: الثقافة العربية ومواجهة المتغيرات الدولية الرامنة، الفكر العربي المعاصر بيوت، 1993، ص 36

(43) كريس باركر: مرجع سبق ذكره، ص 104

(44) إيناس محمد غزال، الإعلانات التلفزيونية وثقافة الطفل: دراسة سوسيولوجية، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، مصر، 2001، ص 237

(45) فخ العولمة: مصدر سابق، ص55-58.

(46) ظامر، مسعود: مبحث الثقافة العربية في مواجهة المتغيرات الدولية الراهنة، مجلة الفكر العربي المعاصر العدد 100-101 بيروت 1993م، الوطنية في عالم بلا هوية: مصدر سابق، ص36.

(47) أمين، جلال العولمة: مصدر سابق، ص 126-128.

(48) برمان، غليون: رهانات العولمة، سلسلة مقالات نشرت في جريدة الاتحاد الظبيانية عام 1991م، الإسلام في عصر العولمة: مصدر سابق، ص 16، مجلة جسور (مجلة ثقافية جامعة): العدد (0) السنة الأولى، شباط/فبراير 2005م. العولمة والمستقبل: استراتيجية تفكير: سيار الجميل، عمان، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2000م، ص 97.

(49) أمين، جلال: العولمة والدولة، ضمن كتاب (العرب والعولمة) بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير الخولي، أسامة أمين، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1/1998) ص156.

(50) عبد المحسن بن أحمد العصيمي: العولمة في عالم متغير، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، 2010، ص73

(51) محمود كامل الناقة: تعليم اللغة العربية والتحديات الثقافية للعولمة التي تواجهها مناهجنا الدراسية، المؤتمر العشرون لجمعية المعلمين الكويتية، التحديات المعاصرة في الوطن العربي، الكويت، ماي، ص 54

(52) صالح بن سليمان بن صالح العمرو: مرجع سبق ذكره، ص 27-26

(53) عبد الرحمن محمد العيسوي: الإدارة في عصر العولمة، الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، 2007، ص31

(54) برمان غليون: ثقافة العولمة، من كتاب ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، سوريا: دار الفكر المعاصر، ص 29